بسم الله الرحمن الرحيم



إلقاء الأستاذ الدكتور:

أيمن بن سعود العنقري

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حيَّاكم الله معاشر الإخوة والأخوات إلى البرنامج الأسبوعي (**التوحيد أولاً**).

وكنا قد تحدثنا في الحلقة السابقة عن مفهوم التوحيد وأنواعه، وتكلمنا عن توحيد الربوبية، وبيَّنا بعض النواقض المتعلقة بتوحيد الربوبية.

- وذكرنا منها: القول بقِدَم العالم، بأن وجود هذا العالم قديم أزلي كوجود الله جَلَّ وَعَلَا، وهذا الذي قاله الفلاسفة كابن سينا، ومن سلك سبيله.
- وذكرنا أيضًا من نواقض توحيد الربوبية: سبُّ الذات الإلهية -تَعَالَى الله عن ذلك علوًّا كبيرا-.
- وذكرنا أنَّ هذا ينافي الإيمان بالكلية، وذكرنا النصوص الدالَّة على كفر من سبَّ الله جَلَّ وَعَلَا، وإجماع أهل السنة على ذلك، الذي نقله الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في كتابه **[الصارم المسلول]**.

ثُمَّ ذكرنا الناقض اَلثَّالِث من نواقض توحيد الربوبية، وهو: الاعتقاد والادعاء بأنَّ الأولياء والأئمة يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون، وذكرنا أنَّ هذا الناقض أبرز من قال به طائفتان:

1. الشيعة الإمامية الاثني عشرية.
2. والصوفية.

في هذه الحلقة إِنْ شَاءَ اللَّه تَعَالَى سنتكلم عن ناقضٍ مهم، وه خطير جدًّا، ألا وهو: الإلحاد.

الناقض الرَّابعُ من نواقض توحيد الربوبية: الإلحاد، الإلحاد بنوعيه:

هناك إلحاد مادي، جاءنا من الغرب، جاء من الغرب ونشأ في الغرب، وذلك بعدما حصل من الاصطدام بين العلم التجريبي وبين الكنيسة، هذا الإلحاد المادي نشأ في بلاد الغرب، وأبرز مذهب إلحادي هو العلمانية، وتولد تحت العلمانية مذاهب كثيرة سنشير إلى أبرزها بإيجاز.

إذًا النوع الأول من الإلحاد: هو الإلحاد المادي، ومصدره من الغرب النصراني.

☜ **النوع اَلْثَّانِي** من الإلحاد الذي إِنْ شَاءَ اللَّه سنتحدث عنه في هذه الحلقة، وإن تيسر أن نكمله في الحلقة القادمة بإذن الله: هو **الإلحاد الروحاني الباطني**.

وهذا النوع قلَّ من يطرقه كالأول، الأول يُطرق بكثير، الكلام على الإلحاد المادي وأسبابه، وعلاجه، ومن أين تأتي الشُبه المتعلقة بمن انحرف في هذا الباب.

أما النوع اَلْثَّانِي فقل من يطرقه مع أهميته من خلال انتشاره الآن عبر ما يُسمى بدورات تنمية الذات، أو ما يسمى بالطب البديل، أو الاستشفاء، أو كذلك ما يسمى بالأمسيات الروحانية أو الروحية، سنتعرض إِنْ شَاءَ اللَّه إلى الإلحاد بنوعيه، وهو الناقض الرَّابِع من نواقض توحيد الربوبية.

☜ **نبدأ بالإلحاد، بتعريف أو ما المراد بالإلحاد؟ ما مفهوم الإلحاد؟**

الإلحاد هو بإيجاز: إنكار وجود الله جَلَّ وَعَلَا؛ فالملحدون هم الذين لا يؤمنون بوجوده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويقولون: إن الكون وُجد بلا خالق، والمادة أزلية، هي الخالق والمخلوق معًا، وبالتالي فهم يكفرون بالرسل عليهم الصلاة والسلام، ويجحدون بالأديان، هذا هو بإيجاز مفهوم الإلحاد.

الملاحدة عندنا في الجملة صنفان:

① **الصنف الأول**: هو مَنْ يعتقدون بنفي وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يصرِّح بنفي وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هؤلاء ملاحدة صرحاء.

② **اَلْثَّانِي**: الشاكُّون، وهم الذين يُطلق عليهم اللاأدرية، الذين يقولون: لا ندري، هل يوجد رب خالق أم لا؟ هؤلاء أيضًا ملاحدة، التوقف والشك في وجود الله جَلَّ وَعَلَا يدخل في الإلحاد، لكن الأول صريح، إنكار صريح، والثاني شك، هل الله موجود أو ليس بموجود؟ تَعَالَى الله عن قولهم علوًّا كبيرا.

يعني: يجمع هؤلاء وأولئك عدم الإيمان بالخالق جَلَّ وَعَلَا، لكن هؤلاء مع شك، وأولئك مع جزم وتصريح.

ممَّا يتعلَّق بالإلحاد: المدارس الإلحادية، يجمع المدارس الإلحادية اتجاهان رئيسان:

١) الاتجاه الأول: اتجاه علمي تجريبي، عن طريق التجربة، والإيمان بالمحسوس فقط.

٢) والثاني: اتجاه فكري فلسفي.

إذًا المدارس الإلحادية المعاصرة يجمعها اتجاهان رئيسان: اتجاه فكري فلسفي، وهذا تنظير في العقل، والثاني: اتجاه علمي تجريبي، وهو تطبيق عملي، ومن هذين الاتجاهين نشأت مدارس تستلهم من الإلحاد مادتها.

✍ فمن أبرز مدارس الإلحاد: العلمانية.

العلمانية التي نشأت في الغرب النصراني هي بناء المجتمع على أسس مادية لا علاقة لها بالدين أبدًا، يعني: إقامة الدين بعيد عن الحياة، فصل الدين عن كل مجالات الحياة، الأمور السياسية، الأمور الاجتماعية، الأمور الاقتصادية، أبدًا.

يعني: في الغرب عندهم أنَّ الدين محصور في الكنيسة فقط، ومن نقل هذا من الغرب النصراني إلى العالم الإسلامي أراد ذلك، أن يكون المسلم فقط يتعبَّد الله في جانب العبادات في مسجده أو في بيته فقط، أما الأمور أو العلاقات السياسية، أو الأمور الاقتصادية، أو الإعلامية أو الاجتماعية، أو علاقة المسلم بإخوانه المسلمين، لا شأن للدين بها نهائيًّا، وهذا من أبطل ما يكون؛ لأنَّ دين الإسلام –ولله الحمد– دين كامل.

قال الله تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨].

يقول أبو ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لقد توفي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما مِنْ طائرٍ في السماء إلا وذكر لنا منه علمًا".

وفي صحيح مسلم من حديث سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قيل له –قيل لسلمان–: قد علمكم نبيكم كل شيء، حتى الخراءة؟ –يعني: قضاء الحاجة–، قال: "نعم، لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائطٍ أو بول، ونهانا أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار .." الحديث.

إذًا الإسلام شامل لكل شيء، شامل لأمور، لعلاقة الإنسان بربه جَلَّ وَعَلَا، ولعلاقة الإنسان مع بني جنسه، فهو شامل لكل أمور الحياة.

✍ أيضًا من الاتجاهات الإلحادية التي ظهرت في الغرب: الفلسفة الوجودية.

التي نادى بها سارتر، سارتر نادى إلى إبراز قيمة الفرد وحريته، وأنَّ وجود الإنسان يسبق ما هيته، يعني: إطلاق الشهوات للإنسان في كل شيء، ما فيه شيء يقف حائلاً أمام رغبات ونزوات الإنسان أيًّا كانت هذه الرغبات، هذه الفلسفة الوجودية انتشرت في فترة من الفترات في الخمسينات والستينات الميلادية وأوائل السبعينات، جاء لها رواج، طبعًا هي جاءت من الغرب وانتشرت في بعض البلاد العربية، وكان من أبرز من روَّج للفلسفة الوجودية الدكتور عبد الرحمن بدوي، من مصر.

الدكتور عبد الرحمن بدوي كان أبرز فيلسوف وجودي عربي، وله كتاب في هذا، اسمه **[دراسات في الفلسفة الوجودية]**، وقيل: أنه رجع في آخر حياته، لكن نحن علينا بما كتب، طبعًا هي لاشك هي ضلال وكفر بالله، أصلاً يعني يجمع هذه المذاهب المعاصرة: عدم الإيمان بالغيبيات، وعدم الإيمان بوجود الله في نشأتها في الغرب.

أيضًا من المدارس الإلحادية التي جاءت من الغرب إلى العالم الإسلامي: الوضعية المنطقية.

وهي فلسفة تنكر أي معرفة تتجاوز التجربة الحسية، يعني: فقط الإيمان بالأشياء المحسوسة، أما ما يُسمَّى بـــ"الميتافيزيقيا" ما وراء الغيب، هذا لا يؤمنون به، وقد روَّج لهذه الفلسفة مع الأسف-: الدكتور زكي نجيب محمود، زكي نجيب محمود في مصر كان من أبرز المروِّجين للفلسفة الوضعية المنطقية في البلاد العربية.

وقد كُتبت رسالة عن الفلسفة الوضعية المنطقية، كتبت رسالة في هذه الفلسفة أو في هذا المذهب الفكري المعاصر.

✍ أيضًا من المدارس الإلحادية: الشيوعية.

الشيوعية التي أسسها كار ماركس، وهي تُقرِّر أن لا إله وأن الحياة مادة -نعوذ بالله من ذلك- وأن الدين أفيون الشعوب.

هذه الفلسفة أو هذا المذهب الإلحادي صريح، وقد جلس سنوات كثيرة، يعني في الاتحاد السوفيتي، والحمد لله أن الشيوعية سقطت إلى غير رجعةٍ إِنْ شَاءَ اللَّه تَعَالَى، لكن كان لها رواج في البلاد العربية في فترة الخمسينات والستينات والسبعينات الميلادية.

✍ أيضًا من المدارس الإلحادية: الداروينية.

نسبةً إلى داروين، وهي التي تقرر ما يُسمى بـــ"نظرية التطور"، وأن الإنسان تطور من مراحل وأصله قرد إلى أن صار إلى ما وُجد عليه، طبعًا يعتقد أن هذا العالم وُجد صدفة، وأنه ليس هناك خالق لهذا العالم.

✍ نأتي للنقطة التي بعده، وهي مهمة جدًّا، آمل الانتباه لها، وهي: أسباب الإلحاد.

يعني الإلحاد منافي للفطرة الإنسانية، يعني فِطَر بني آدم مجبولة ومفطورة على الإقرار بوجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف:١٧٢]، فالإقرار بوجود الله أمر فطري ضروري.

والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ما مِنْ مولود إلا ويُولد على الفطرة» اللي هي الإسلام والإقرار بوجود الله، ثُمَّ تأتي عاد المؤثرات الخارجية، قال: «فأبواه» يأتي تأثير الأبوين، «فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

وفي الحديث القدسي يقول الله تَعَالَى: «خلقت عبادي حنفاء، فاجتالتهم الشياطين» أي: انحرفت ومالت بهم.

إذًا الإقرار بوجود الله أمر ضروري فطري، لكن من خلال تتبع لبعض أسباب الإلحاد ممكن أن نستشرف بعض هذه الأسباب حتى نستطيع أن نوجد لها علاج.

☚ من أهم الأسباب المؤدية إلى الإلحاد: الانهزام أمام الحضارة الغربية والشرقية.

الهزيمة الحضارية التي استولت على نفوس كثير من الشباب، فأدت إلى احتقارهم لأمتهم ولأثرها العقدي، وأدت بالمقابل إلى نظرهم بعين الإعجاب والإكبار بالغرب، وأنهم متفوقون، وأن سبب تفوقهم المادي إنما هو الإلحاد.

ولو أخذت مثال على هذا السبب لشخصية كانت على العقيدة السلفية الصحيحة، بل كان من المدافعين عنها، لو أخذنا شخصية عبد الله القصيمي، يعني من قرأ كتبه التي ألفها قبل

انحرافه، يعني كأنك تقرأ لإمام من أئمة أهل السنة، بل لأئمة الدعوة في نجد، يعني: من كتبه النفيسة التي قرأتها، كتابه **[الصراع بين الإسلام والوثنية]**، رد فيه على محسن العاملي -أحد الرافضة- في قضية الشرك الأكبر وشبهات القبوريين في باب توحيد العبادة، والله من قرأ هذا الكتاب يعجب من دقة رده ومناقشته لشبهات القبورية الصوفية والرافضة؛ لأنَّ الجميع قبورية، عباد قبور.

بل إنَّه وظَّف علوم الآلة في خدمة العقيدة الصحيحة، يعني: تجد عنده دقة عجيبة في أصول الفقه، وفي بيان منهج الاستدلال وطرق الاستدلال، ووجد استدلال من النصوص، وظَّف اللغة العربية، علوم اللغة لعلم العقيدة في هذا الكتاب.

أيضًا من كتبه النفيسة القيمة كتاب **[البروق النجدية في اكتساح الظلمات الدجوية]**، الدجوي يوسف الدجوي كان شيخ الأزهر في زمنه، في عهد الملك فؤاد، وطبعًا كان أشعريًّا صوفيًّا قبوريًّا، وكتب كتابًا قرر فيه جواز التوسل بالأنبياء ودعائهم من دون الله، -نعوذ بالله من ذلك-، وكان القصيمي آنذاك أتى مع الشيخ عبد الله بن يابس من أهل القويعية، الشيخ عبد الله بن علي بن يابس، والشيخ عبد العزيز بن راشد، كانوا ثلاثة، أتوا من نجد إلى مصر للدراسة في الأزهر، فكانوا رفقة وفي رباط واحد، فلمَّا علم القصيمي بما فعله شيخ الأزهر يوسف الدجوي، لَّما ألَّف الكتاب، ألَّف كتابًا على طريقة القبوريين، وفيه شبهات.

قام القصيمي وتصدى لنقد كتاب شيخ الأزهر، وهو طالب يدرس في الأزهر ونقد كتاب فيه شبهات ألفه شيخ الأزهر يوسف الدجوي، طبعًا فُصِل على إثر هذا الرد، وحتى ذكر بعض من ترجم له، قالوا: إنه بهذا الكتاب استحق الجنة أو كذا، يعني: أنه جاهد ودافع عن العقيدة السلفية الصحيحة في الرد على شبهات القبوريين، فُصل من الأزهر بسبب هذا الكتاب، وإذا قرأت الكتاب تجد فيه العجب من الدقة، أنا عندي الكتاب الطبعة اَلْأُوْلَى طبعة رشيد رضا، طبعة المنار، عام ١٣٥٠هـــ، قرأته، تعجب من مناقشته ودقة ردوده على شبهات الصوفية القبورية.

طيب، هذا الرجل الذي ألَّف هذه الكتب العظيمة، وكان سلفيًّا، ما الذي أدى به إلى أن ينحرف من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار فيقع في الإلحاد ولا حول ولا قوة إلا بالله؟ نسأل

الله الثبات. اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، كان أكثر دعاء النَّبِيّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام، هذا الدعاء العظيم يا إخوة، التثبيت، اسأل ربك الثبات، رجل كان على العقيدة ويدافع عنها، ثُمَّ من أقصى اليمين إلى أقصى الشمال، أَلَّف كتابا كان هو بداية إلحاده، هذه هي الأغلال.

ما سبب التأليف؟ الانبهار والإعجاب بالتفوق المادي للغرب، واعتقد أن سبب التفوق هو التخلي عن الدين، فأدى به هذا إلى أن يقع في الإلحاد، وألف كتابه ورد عليه العلماء في زمنه، من أبرز من رد عليه زميله وصاحبه الشيخ عبد الله بن يابس في كتابٍ له نفيس هي قرابة أربعمائة صفحة **[الرد القويم على ملحد القصيم]**.

والشيخ عبد الله بن يابس في ثنايا الكتاب، وهذا سيأتينا في السبب اَلْثَّانِي من أسباب الإلحاد اللي هو العجب والغرور والكبر، أنها تدخل في نفس الإنسان، قال: إن القصيمي كان يلمس منه في ثنايا لما كان يدرس في الأزهر العجب والغرور بنفسه والاعتزاز بنفسه، وأنه متمكن وأنه عقلية فذَّة وأنه لم يُعطَ حقه من التقدير والاحترام وما أشبه ذلك في ثنايا كلامه، فألف الشيخ عبد الله بن يابس هذا الكتاب في الرد على زميله القصيمي، وألف غيره من أهل العلم، من أحسن من كتب في الرد على كتابه هذه الأغلال الشيخ إبراهيم السويح من أهل سدير، وكان قاضيًا في شمال المملكة في زمن الشيخ محمد بن إبراهيم، ألف كتاب نفيس جدًّا، **[بيان الهدى من الضلال في الرد على صاحب الأغلال]**، وقد طُبع مؤخرًا، أنا عندي الطبعة القديمة، لكنه طبع مؤخرًا في ثلاثة أجزاء، ورده رائع، لأنه استعمل الحجج والأدلة العقلية في نقد شبهات القصيمي الإلحادية، ورد عليه الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، وغيرهم من أهل العلم.

أنا أتيت بهذا المثال لعبد الله القصيمي أنه كيف أن أثر الهزيمة الحضارية التي استولت عليه وانبهاره بالغرب، وأن الغرب إنما تفوق بسبب تركه الدين، فآل به هذا إلى أن ينحرف من العقيدة الصحيحة إلى الإلحاد ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أيضًا من أسباب الإلحاد: عدم فهم قضية القضاء والقدر على الوجه الصحيح.

ولاسيما ما يتعلّق بحكمة الله وتعليله، الحكمة والتعليل في أفعال الله جَلَّ وَعَلَا، أحيانًا، وهذا أنا ألاحظه مع الطلاب، بعض الطلاب عندنا في الجامعة لَمَّا نشرح باب القضاء والقدر ونتكلم عليه، تأتي أسئلة منهم، من بعضهم، يقول: طيب، الله عَزَّ وَجَلّ يريد الخير للناس، الله عَزَّ وَجَلّ فعله خير، كما قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والشر ليس إليك**»، طيب، ما يُنسب الشر إلى أفعال الله، طيب لماذا خلق الكفر؟ لماذا خلق كذا؟ لماذا خلق كذا من المعاصي؟

فأنت تبين له أنَّ أشد من هذا الشيطان، الشطيان خلقه الله جَلَّ وَعَلَا لِحِكَم عظيمة، هو في ظاهرها شر، لكن فيه حِكَم عظيمة وخير عظيم وراء خلقه، من هذه: ظهور العبادات والشعائر المتنوعة، ظهور جهاد النفس، مجاهدة النفس، الشيطان يوسوس لك، هنا تظهر شعيرة مجاهدة النفس، ما تستسلم لوساوس الشيطان، هذه حكمة عظيمة، ظهور شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من العصاة والفُسَّاق وغيرهم، يأتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فينكر على هذا، ينكر على هذا الذي وقع في الأمر المُحرَّم، إذًا ظهرت شعيرة عظيمة، وهي شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، شعيرة الجهاد في سبيل الله وقتال الكفَّار تظهر؛ إذًا شعائر، عبوديات يعني عبادات متنوعة تظهر، ظهرت من خلال خلق إبليس وهو شر الخليقة؛ إذًا له حكمة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولهذا أفعال الله جَلَّ وَعَلَا –كما نعتقد نحن أهل السنة– لا تصدر إلا عن حكمة وتعليل، الحكمة في أفعال الله جَلَّ وَعَلَا هي الغايات المحمودة من أفعاله جَلَّ وَعَلَا، لا يفعل إلا لحكمة: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾[المؤمنون:١١٥]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الدخان:٣٨-٣٩]؛ إذًا أحيانًا يكون نشأة الإلحاد أو الباعث عليه عدم الفهم الصحيح لقضية القضاء والقدر والحكمة والتعليل في أفعال الله، وهل الإنسان مصير أو مخير، وهذه النقطة مهمة.

ولهذا أود التركيز على مثل هذه القضايا أنْ توضح للطلاب في الجامعات أو لعامة الناس، أن تبيِّن عقيدة أهل السنة والجماعة في باب القضاء والقدر، وأنَّها عقيدة موافقة للنصوص، فنحن نؤمن بمراتب القدر الأربعة، ما من شيء يقع في الكون إلا يمر بهذه المراتب الأربعة:

✓ الْأُولَى: علم الله بالأشياء قبل وقوعها.

فالله جَلَّ وَعَلَا يعلم ما كان في الماضي، ويعلم ما يكون في الحاضر، ويعلم ما سيكون في المستقبل، ويعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون، وهو المعدوم الذي لم يوجد إذا وجد على أي صفةٍ وهيئةٍ يوجد، وأدلة مرتبة العلم هذه كثيرة في النصوص: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحج:٧٠].

✓ المرتبة الثَّانِيَةُ: كتابة مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ.

كما قال سبحانه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد:٢٢].

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء**».

✓ المرتبة الثَّالِثَةُ: مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فما أراد الله لك من خير وقع، ولو اجتمع الناس كلهم على منعه سيقع، وما لم يرد الله جَلَّ وَعَلَا لك من أمر فإنه لن يقع ولو اجتمع الخلق كلهم على أن يحدثوه لك.

✓ المرتبة الرابعة: الخَلْق؛ خَلْق العباد وخلق أفعالهم:

كما قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات:٩٦].

نأخذ فاصلاً قصيرًا ثُمَّ نرجع لمواصلة الحلقة، فابقوا معنا.

حياكم الله معاشر الإخوة والأخوات بعد هذا الفاصل.

وكنا قد تكلمنا عن عقيدة أهل السنة في القضاء والقدر، وذكرنا أنَّ القدر المتعلِّق بفعل الله جلَّ وعلا يشمل أربعة مراتب:

- المرتبة الْأُوْلَى: علم الله بالأشياء قبل وقوعها.
- والمرتبة الثَّانِيَةُ: كتابته لها في اللوح المحفوظ.
- والمرتبة الثَّالِثَةُ: مشيئته لها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.
- والمرتبة الرابعة: خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى للعباد ولأفعالهم.

من جانب العبد نحن نعتقد أن العبد له إرادة ومشيئة، لكن إرادة العبد ومشيئته وقدرته ليست مستقلة، كما يقوله القدرية المعتزلة، لا، وإنما هي تابعة لمشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾[الإنسان:٣٠]، فأثبت للعبد مشيئة، لكن هل هي مستقلة عن مشيئة الله؟ لا، وإنما هي تابعة لمشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أيضًا من عقيدتنا في القضاء والقدر: أنَّ أفعال الله جَلَّ وَعَلَا لا تصدر إلا عن حكمة وتعليل.

الله جَلَّ وَعَلَا لا يفعل لمحض المشيئة والإرادة، لا، وإنما أفعاله تكون عن حكمة وتعليل، الحكمة وهي صفة من صفات الله جَلَّ وَعَلَا هي الغايات المحمودة من فعله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الغاية المحمودة، حينما يقدِّر على فلان أنه كذا ولأنه كذا، فله حِكَم عظيمة؛ ولهذا من أعظم القواعد في باب القدر: أنَّ أفعال الله جَلَّ وَعَلَا لا يُسأل عنها بـــلِمَ؟ لِمَ أعطى فلان؟ ولِمَ منع فلان؟ ولِمَ هدى فلان؟ ولِمَ أضل فلان؟ ولِمَ أغنى فلان؟ ولِمَ أفقر فلان؟ هذه لا تسأل عنها؛ لأنَّ هذا هو الجانب المخفي في القدر، كما قال سبحانه: ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ﴾ لكمال حكمته ﴿وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣﴾[الأنبياء:٢٣]، هذا هو الجانب الذي نُهينا عن الخوض فيه في القدر، السؤال عن أفعال الله بـــ"لِمَ" الاعتراض، لماذا فلان عنده كذا؟ ولماذا فلان عنده كذا؟ ولماذا أنا كذا؟ احذر أن تقع في هذا الباب.

وهذا الباب هو الذي جاء فيه الحديث عن النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام: «**إذا ذُكر القدر فأمسكوا**» هذا اللي هو السؤال بالاعتراض عن أفعال الله بـــ"لِمَ".

وأحيانًا يدخل فيه بعض الأخطاء عند الناس، وإن كان بعض الناس ما يقصد، لَّما تجلس أحيانًا في مجلس يُذكر مثلاً فلان أصابه حادث أو كذا، يقول بعض الناس: فلان ما يستاهلَ هذا غلط، الله عَزَّ وَجَلّ له حكمة حينما قدَّر عليه الحادث، وحينما جعله مثلاً مريضًا، وحينما

قدر عليه المصيبة الفلانية، له حكمة في هذا، إمَّا رفعة لدرجاته، إما لتكفير لسيئاته، إما تنبيه له، قد يكون في طريقه شيء فأراد الله أن ينبه لهذا له حكمة عظيمة سبحانه.

فلا تقول: "فلان ما يستاهل!" أو فلان كذا ما يستاهل!، لا، هذا فيه جانب اعتراض على أفعال الله جَلَّ وَعَلَا.

➥ **أيضًا من عقيدتنا في باب القضاء والقدر** -وهي من الأساسيات في هذا الباب-: **أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يظلم أحدًا من الناس.**

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾[فصلت:٤٦]، فالله سبحانه يضع الأشياء في مواضعها، سبحانه، ما يظلم أحد من الناس أبدًا، وإنما هو في علمه السابق وفي حكمته أن فلانًا ليس محلاً للهداية، لحكمة يعلمها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ولهذا في الحديث القدسي، حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه، يقول النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قال الله تَعَالَى: يا عبادي؛ إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا**».

إذًا من أسباب الإلحاد عدم الفهم الصحيح لقضية القضاء والقدر، وأنا أشرت إليها إشارة موجزة، ولعلي إِنْ شَاءَ اللَّه يكون لموضوع القضاء والقدر حلقة مستقلة بإذن الله تَعَالَى.

إذًا من أسباب الإلحاد: عدم الفهم الصحيح لقضية القضاء والقدر، وأنا أشرت إليها إشارة موجزة، ولعلي إن شاء الله أن يكون لموضوع القضاء والقدر حلقة مستقلة بإذن الله تعالى.

➥ من أسباب الإلحاد: غسيل العقول الذي يتعرض له مَن يسكن بين الكفار من القاطنين والسائحين والمبتعثين.

بعض المبتعثين، وهذه رسالة للمبتعثين الذين يذهبون لخارج هذه البلاد أن يتحصنوا بالعقيدة الصحيحة واليقين بالله جل وعلا، أنا ذهبت في رحلة خارج هذه البلاد لدراسة اللغة، فترى أحيانًا بعض صغار السن يتأثر بأدنى شبهة يلقيها المدرس في المعهد، يتأثر بأدنى كلمة، يتأثر إذا مثلاً جاء الأستاذ أو المدرس أو المدرسة في المعهد، قال: الإسلام عندكم يظلم المرأة، الإسلام كذا، تجده يضعُف، لا، لا تكون في موقف ضعف، خليك أقوى، وقل: بل أنتم الذين

تُسيئون، وأنتم كذا، خليك في موقف تبيِّن أنَّ الإسلام ما ظلم المرأة، الإسلام كذا، هم يثيرون شبهات عليك، وأنا لاحظتها.

حتى مرة أذكر واحدة قالت: المرأة عندكم كذا، وتكلمت معها، كانت كبيرة في السن تُدرسنا في اللغة، ورددت عليها وبقوة، بل بالعكس هم إذا رأوا الإنسان المعتز بدينه والله يحترمونه ويجلونه، فالانبهار أحيانًا والشُّبهات التي تُلقى من قِبل بعض هؤلاء، هذه من أسباب الإلحاد أحيانًا؛ لأن ييجي طالب أو طالبة مثلاً مبتعث أو مبتعثة صغار السن وخاوي، يعني: غض طري، ثم هذا يرمي عليه شبهة وهذا شبهة، أو يسمع أو يشوف بعض الأشياء مثلاً حسنة عندهم في النظام وما النظام، ويشوف مثلاً في بعض البلاد الإسلامية ما فيه نظام أو كذا أو فيها محسوبية وكذا.

طيب، هذا غلط، وهذا جانب صحيح حتَّنا عليه الإسلام، ما تجعل هذا مبرر أنك تنتكس عن الإسلام، وإنك ترد هذا إلى أن سبب تفوقهم المادي أنهم تركوا الدين، فنحن لازم نترك الدين حتى نتفوق، لا، كل هذا غير صحيح، بل هو باطل، وهذه نقطة مهمة، موضوع الابتعاث هذا يجب التنبيه له.

يعني: أن يخرج الطالب أو الطالبة المبتعث لبلاد الغرب وعنده حصانة قوية في العقيدة؛ فاهم عقيدته، فاهم دينه، معتز به، ما هو ضعيف شخصية ولا منبهر بالغرب، ولا ييجي كلمة توديه وكلمة تجيبه، لا، آجي وأنا معتز بديني، وإنما أنا أتيت لأدرس إمَّا لغة أو أدرس لتخصص أحتاجه لأنفع بلدي.

أمَّا أن يأتي الإنسان وهو منهزم، ضعيف الشخصية، وكل ما أُورد عليه شُبهة تأثر بها، هنا المصيبة.

أيضًا من أسباب الإلحاد: حب الشهوات والرغبة الجامحة في الانفلات.

أو ما يسمى بالحرية اللا أخلاقية، هذه تتناسب مع الإلحاد، يعني لا حلال ولا حرام؛ لأن الإلحاد ما فيه رقيب ولا حسيب، فلا يشعر الإنسان بتأنيب ضمير، يكون كالحيوان، وبعض الناس يريد قضاء شهواته أيًّا كانت هذه الشهوات.

أيضًا من أسباب الإلحاد: وقوع المشكلات والتناقضات في نظر الملحد.

لا سيما الشباب، وهذا السبب مفهوم لدى النصارى؛ الكنيسة رفضت العلم التجريبي، فالمسلمين ما يأتي هذا، الإسلام حثَّ على التقنية، حثَّ على العمل، حثَّ على التطور، حثَّ على الصناعة، حثَّ على مزاولة كافة المهن.

الحمد لله الشريعة شريعة يُسر، ما جعل الله علينا في الدين من حرج، وإنما يأتي أين؟ يأتي فَهْم الإسلام عن طريق الفِرق المخالفة للإسلام مثل الرافضة والصوفية؛ فبعضهم يشوف مشاهد بدعية شركية مخالفة فيظن هذا هو الإسلام، خاصةً إذا لم يكن ترسَّخت لديه العقيدة الصحيحة.

أيضًا من أسباب الإلحاد: الجهل بدين الإسلام ومحاسنه.

إذ لو أقبل هؤلاء الذين وقعوا في الإلحاد على هذا الدين العظيم لكفاهم عن كل نظرية وعن كل فكر وعن كل فلسفة.

والله الإسلام فيه الخير والبركة؛ في أحكامه، في قواعده، في أخلاقياته، كل شيء فيه، لسنا بحاجة لإلحاد، ولسنا بحاجة لهذه النظريات الفاسدة الباطلة.

أيضًا وهو السبب الأخير وهو الأهم في الإلحاد في نظري، راجع إلى الملحد نفسه، وقد أشرت إليه إشارة سابقة لَمَّا تكلمنا عن القصيمي، عن السبب الإلحادي القصيمي: أنه ما ألحد ونكص على عقبيه إلا وهو أُتي من قِبل كِبرٍ وعُجبٍ وغرور في نفسه أبدًا؛ ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾[الصف:٥]، أُتي من العجب والغرور في نفسه، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦﴾[غافر:٥٦]، فأدى هذا الكِبر إلى ثمرات، منها: يُكذِّب بدين الله جل وعلا، كما قال سبحانه: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٩﴾ [يونس:٣٩].

أيضًا الإعراض ورفض استماع الحق.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾﴾[الأنعام:٤]، ما يسمع، معرض عن تعلُّم دين الله، عن السماع، يرى أنه وصل لمرحلة خلاص استغنى عن كل أحد، وهذا من أخطر الأمور.

أيضًا تقليد أئمة الضلال كما قال جل وعــلا: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الزخرف:٢٣].

وهذه مشكلة، أن يُسلِّم الإنسان عقله لغيره من هؤلاء الضُّلال، ابحث عن الحق واقرأ واطلع.

أيضًا من الأسباب وهي تابع لقضية العُجب والكِبر: الزيغ، زيغ القلب.

تجد هذا الرجل في نفسه هوى، هو من أساسه، أحيانًا يعني بعض الناس يسألني في أحكام شرعية -يعني أنا أريد أن أُقرِّب هذا-، فإذا قلت له الحكم والدليل، ذكرت له الحكم والدليل، قال: طيب، فيه قول ثاني في المسألة؟ فيه كذا؟ سبحان الله! قلت له: الله يقول كذا، خلاص؛ ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[النساء:٥٩]، والرسول يقول كذا.

هو حين بحث عن مَن يقول من العلماء برأي آخر ما يريد قضية رأي أو يريد إنه يعرف، لا، هو وافق هوى في نفسه، هو أصلاً من أساسه عنده زيغ، فأراد أن يجعل لهذا الزيغ مجال له من الناحية الشرعية فقط، وإلا هو ما هو مقتنع أنَّ هذا فلان قاله ولا هذا فلان، لا، فهذه خطيرة جدًّا.

باعث الإلحاد -عافانا الله وإياكم من ذلك-: زيغ القلب، الهوى، الشك في الله، الشك في أحكام الإسلام، عدم التسليم، عدم الانقياد.

شروط "لا إله إلا الله": الانقياد، القبول، التسليم، اليقين، العلم المنافي للجهل، ما عنده أحكام الإسلام التسليم والانقياد، فتجد عنده فيه شك، يُكثر من الأسئلة وهو في نفسه غير مقتنع بكثير من الأمور، فيجد أحيانًا أنَّ هذا الطريق هو الطريق الذي يُشبع ما عنده من الهوى والزيغ الذي كان في قلبه، ولهذا تأمل الآية الكريمة: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[الصف:٥].

إذًا هذه أسباب الإلحاد.

✍ أيضًا هناك تقسيم الإلحاد:

نحن ذكرنا أنَّ الإلحاد إمَّا يكون جانب تجريبي أو جانب فكري فلسفي.

هناك تقسم للإلحاد، قسَّمه بعض الباحثين بحسب الدافع إليه –ما الدافع إلى الإلحاد؟– إلى ثلاثة أقسام:

- **هناك إلحاد عاطفي**، مثل دافع استشكال القدر.
- **هناك إلحاد مادي نفعي**، دافعة الرغبة الجامحة في الملذات والشهوات دون قيود.
- **وهناك إلحاد عقلي علمي**، دافعه ما يُزعم من نظريات علمية وفلسفية؛ مثل نظرية داروين هذه التي تبيَّن بطلانه وفساده.

بالمناسبة: من أفضل ما قرأت عن بطلان نظرية داروين كتاب للأستاذ الشيخ/ محمد أحمد باشميل، له رسالة جيدة في هذا الأمر اسمها **[الإسلام ونظرية داروين]**، الحقيقة أسلوبه سهل وواضح في نقض هذه النظرية الإلحادية اسمها **[الإسلام ونظرية داروين]** للأستاذ/ محمد أحمد باشميل رحمه الله تعالى.

إذًا هذا أبرز ما يتعلق بالإلحاد المادي الذي جاءنا من بلاد الغرب.

طبعًا الإلحاد أو النظريات الفكرية الفلسفية التي هي المرتكز الثاني لهذا الإلحاد أعظمها أو أشدها تعظيم العقل، قضية العقل، وهذه مشكلة كبرى، تعظيم جانب العقل وأنَّ باستطاعته أن يُدرك كل شيء مع حصر الموجودات في المحسوسات.

يعني: لا يؤمن إلا بالجانب الحسي المشاهَد، أمَّا الغيبيات فلا يؤمن بها، وهذا أصل عند المذاهب الفكرية المعاصرة، هذه أصل عندهم، لا يؤمن إلا بالأشياء المحسوسة، لا يؤمن بالغيبيات.

ولهذا لو تأملت القرآن في أول سورة البقرة لَمَّا تكلم الله جل وعلا عن صفات المتقين، قال سبحانه: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة:١-٢]، ما صفاتهم؟

✔ **أول صفة للمتقين** ذكرها الله جَلَّ وَعَلَا في كتابه هي: الإيمان بالغيب، قال: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة:٣]؛ لأن الإيمان بالغيب يتميز به المسلم عن غيره، عن الكافر.

الإيمان بالمحسوس والمشاهَد ما يتميز به أحد عن أحد، لكن الإيمان بالغيبيات لَمَّا تأتي النصوص في القرآن والسُّنة تتكلم: عن اليوم الآخر، عن أشراط الساعة، عن حقائق أسماء الله جل وعلا وصفاته، عن باب القضاء والقدر، هذه كلها غيبيات تُسلِّم لها وتؤمن بها، هنا يتميز المسلم الحق من غيره.

ولهذا الله جل وعلا قال مبيِّنًا جانب التسليم والانقياد والقبول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[الأحزاب:٣٦].

إذًا نستطيع أن نقول: إن الإلحاد المادي وهو القسم من الإلحاد، نشأ في بلاد الغرب نتيجة اصطدام العلم التجريبي بالكنيسة، ثم جاءت هذه المذاهب المادية الإلحادية إلى العالم الإسلامي وعلى رأسها العلمانية، وتفرعت منها مذاهب كثيرة، ذكرنا منها: الوجودية، والوضعية المنطقية، والشيوعية، أيضًا الليبرالية.

➢ **الليبرالية**: وهي مذهب الحرية والتحررية والإباحية؛ أنك تفعل ما تشاء، وتقول ما تشاء، دون قيود أبدًا، الليبرالية: هي مذهب إلحادي غربي جاء إلى العالم الإسلام.

➥ **وأبرز مَن كتب أو منظِّر الليبرالية "جون ستيوارت ميل"**، له كتاب عن الحرية، وهذا كتاب يعتبر مرجع الليبرالية الغربية، وهو أصل لمن أراد أن يعرف ما هو المذهب الليبرالي أو الليبرالية، اسمه **[عن الحرية]** أو كتاب **[الحرية]** لجون ستيوارت ميل، يعتبر هو منظِّر الليبرالية الغربية ثم انتقلت إلى العالم الإسلامي وكان لها منظِّرون كُثُر.

هذه إشارات موجزة الحقيقة، وإلا موضوع الإلحاد يستحق منا حلقات، لكن أنا أردت أن أعطي إلمامة موجزة عن ما يتعلق بالإلحاد، وكان بودي أن نشير ونبدأ بالنوع الثاني من أنواع الإلحاد وهو الإلحاد الروحاني الباطني؛ لأنه مهم جدًّا خاصة الآن عبر انتشار ما يسمى بالدورات "دورات تنمية الذات البشرية والطب البديل والاستشفاء والأُمسيات التي تُقام"، لكن لعلي أقتصر في هذه الحلقة على الإلحاد المادي، وإن شاء الله.

بإذن الله تعالى تكون الحلقة القادمة بإذن الله عن الإلحاد الروحاني الباطني، سنفصِّل الكلام فيه، نبيِّن مصادر الإلحاد الروحاني من أين جاء، ونبيِّن المنابر الرئيسة التي دخل منها إلى العالم العربي أو العالم الإسلامي، وسنبيِّن إن شاء الله أبرز مروجي الإلحاد الروحاني الباطني من

الغربيين ومن الشرقيين -اللي هم الهندوس- والبوذيين أو من الغربيين والمروجين له في العالم العربي بالتفصيل بإذن الله تعالى.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يُثبتنا وإياكم على العقيدة الصحيحة، وأن يمتنا عليها، وأن يجعلنا من المدافعين عنها والذَّابين عنها.

وإلى اللقاء في الحلقة القادمة بإذن الله تعالى.

أستودعكم الله.

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته.